

روح المعاني

عن أصنام السوى وأطيعوا الرسول بالمجاهدة واتعاب البدن بأداء رسوم العبادة التي شرعها لكم وأولى الامر منكم وهم المشايخ المرشدون بامثال أمرهم فيما يرونه صلاحا لكم وتهديبا لأخلاقكم .

وربما : يقال انه سبحانه جعل الطاعة على ثلاث مراتب وهي في الاصل ترجع الى واحدة : فمن كان أهلا لبساط القربة وفهم خطاب الحق بلا واسطة كالقائل أخذتم علمكم ميتا عن ميت ونحن أخذناه من الحي الذي لا يموت فليطلع الله تعالى بمراده وليتمثل ما فهمه منه ومن لم يبلغ هذه الدرجة فليرجع الى بيان الواسطة العظمى وهو الرسول إن فهم بيانه أو استطاع الأخذ منه كبعض أهل الله تعالى ويطعه فيما أمر ونهى ومن لم يبلغ الى هذه الدرجة فليرجع الى أكابر علماء الامة وليتقيد بمذهب من المذاهب وليقف عنده في الاوامر والنواهي فان تنازعتم في شيء أنتم والمشايخ وذلك في مبادئ السلوك حيث النفس قوية فردوه الى الله تعالى والرسول فارجعوا الى الكتاب والسنة فان فيهما ما يزيل النزاع عبارة أو إشارة أو إذا وقع عليكم حكم من أحكام الغيب المتشابهة وظهر في أسراركم معارضات الامتحان فارجعوا الى خطاب الله تعالى ورسوله فان فيه بحار علوم الحقائق فكل خاطر لا يوافق خطاب الله تعالى ورسوله فهو مردود ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك من علم التوحيد وما أنزل من قبلك من علم المبدأ والمعاد يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وهو النفس الأمارة الحاكمة بما تؤذي اليه أفكارها الغير المستندة إلى الكتاب والسنة وقد أمروا أن يكفروا به ويخالفوه إن النفس لأمارة بالسوء إلا من رحم ربي ويريد الشيطان وهو الطاغوت أن يضلهم ضللا بعيدا وهو الانحراف عن الحق فكيف إذا أصابتهم مصيبة وهي مصيبة التحير وفقد الطريق الموصل بما قدمت أيديهم من تقديم أفكارهم الفاسدة وعدم رجوعهم اليك ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا بأنفسنا لتمررنا على التفكير حتى يكون لها ملكة استنباط الأسرار والدقائق من عبارتك وإشارتك وتوفيقا أي جمعا بين العقل والنقل أو بين الخصمين بما يقرب من عقولهم ولم نرد مخالفتك أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من رين الشكوك فيجازيهم على ذلك يوم القيامة فأعرض عنهم ولا تقبل عذرهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا مؤثرا ليرتدعوا أو كلمهم على مقادير عقولهم ومتحمل طاقتهم ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم باشتغالهم بحطوطها جاءوك فاستغفروا الله طلبوا منه ستر صفات نفوسهم التي هي مصادر تلك الافعال واستغفر لهم الرسول بإمداده إياهم بأنوار صفاته لو وجدوا الله توابا رحميا مطهرا لنفوسهم مفيضا عليها الكمال اللائق بها .

وقال ابن عطاء في هذه الآية : أي لوجعلوك الوسيلة لدى لوصولوا الى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما قال بعضهم : أظهر ا في هذه الآية على حبيبه خلعة من خاع الربوبية فجعل الرضا بحكمه ساء أم ستر سببا لأيمان المؤمنين كما جعل الرضا بقضائه سببا لايقان الموقنين فأسقط عنهم أسم الواسطة لأنه متصف بأوصاف الحق متخلق بأخلاقه ألا ترى كيف قال حسان : وشق له من اسمه ليجعله فذو العرش محمود وهذا محمد وقال آخرون : سد سبحانه الطريق الى نفسه على الكافة الا بعد الايمان بحبيبه فمن لم يمش تحت قبا به فليس من ا تعالى في شء ثم جعل جل شأنه من شرط الايمان زوال المعارضة